

خصائص الحياة الحلمية للأطفال

ملخص

إن دراسة الأحلام كانت ولا تزال محور لاهتمام العديد من الباحثين على اختلاف توجهاتهم العلمية، لكن غالبا ما تعنى أحلام الراشدين بالكثير من الاهتمام من حيث المضمون ومحاولة التفسير. في حين نجد أنه ناذرا ما ينظر إلى أحلام الأطفال بعين الأهمية والجدية. وهناك من يعتقد عن جهل بأن الطفل لا يحلم، وأنه يزعم ذلك أو يختلق قصصا خيالية. لكن الحقيقة العلمية تؤكد حدوث الحلم عند الطفل منذ اللحظات الأولى من حياته، وليس فقط منذ السنوات الأولى . وما يجعل من الصعب التصديق بذلك هو غياب اللغة، لكن بمجرد قدرة الطفل على الكلام فإنه يروي أحداث حلمية زاهرة وثرية بالشخصيات والمواضيع والانفعالات.

ويختلف إدراكه للحلم حسب تقدمه في السن، ففي الطفولة الأولى لا يعرف مصدر تلك الصور التي يراها أثناء نومه. ولا يعرف أنها نتاج لعمل الدماغ المتواصل- لا المتوقف - أثناء النوم. ومع تقدمه في السن يدرك ماهية الأحلام ومصدرها. ونظرا للطابع الثري لأحلام الأطفال فإنها تعد بمثابة حياة ثانية يعيشها الطفل بالتوازي مع حياة اليقظة لكن بشكل آخر. ولذا علينا الاهتمام بها والتعرف عليها حتى نتتمكن من الإحاطة بكل ما يؤثر في النمو النفسي للطفل .

أ. فريدة لوشاحي
قسم علم النفس
جامعة سكيكدة
الجزائر

Résumé

Le rêve a toujours été un objet d'étude privilégié, mais il s'agissait surtout de celui des adultes. Celui des enfants est généralement peu pris au sérieux.

Il y a ceux qui croient que l'enfant ne rêve pas, ou bien qu'il crée des scénarios imaginaires. Mais les recherches scientifiques confirment l'existence du rêve chez l'enfant dès les premiers moments de sa vie.

يخلد الإنسان كل ليلة إلى النوم، والذي يعتبر ظاهرة حيوية وضرورية لكل بني البشر، راشدين كانوا أو أطفال. حيث أنه يلعب دورا هاما في النمو السوي. وهو سيرورة فيزيولوجية تبدأ تلقائيا بالتنويم وتنتهي عادة بالاستيقاظ. يستغرق حوالي ثلثي حياة الإنسان، فيه ينخفض مستوى النشاط الحركي والذهني، ويقوم خلاله الدماغ بعمله الليلي الدائم المتمثل في الحلم، والذي هو

ليس مستقل عن سائر أحوال النفس - في يقطتها - بل يتصل بها أوثق الاتصال ويكوّن حلقة من ليس مستقل عن سائر أحوال النفس - في يقطتها - بل يتصل بها أوثق الاتصال ويكوّن حلقة من حلقات الحياة النفسية. فهو نافذة تطل على أعماق النفس يترامى البصر منها إلى آفاق تصل إلى طفولة الإنسان، ويعبر عن أمور لا يسعنا الإحساس بها أثناء اليقظة، ويحيط بما ولى عليه الزمان من الأحداث والخبرات الأولى فيبعثها أمام ناظرنا، ويتضح من خلاله الصلة بين ماضي الفرد وحاضره.

وحسب المحللين النفسانيين وعلى رأسهم S. Freud ، فإن الحلم يقوم بتحويل أفكار النائم إلى مشاهد أكثر حيوية، وفي ذلك يميز ميكانيزمين أساسيين هما الإزاحة والتكثيف. لكن العامل الأساسي والمحرك للحلم هو الرغبة اللاشعورية، وفي كثير من الأحيان الرغبة المكبوتة. لذا فالحلم من منظوره هو حارس النوم لأنه يحقق تلك الرغبة وأيضا رغبات أخرى.

فالأحلام إذن تكشف عن جزء من الذات وما يقبع فيها من مواطن ضعف وصراعات ومشكلات. وكل المصادر الكامنة التي تحيا من خلال الأحلام وتنتعش لتعطي لوحة فنية مزخرفة عن النفس البشرية. لا يفهمها إلا من غاص في ثناياها.

إن هذا لا يعيشه فقط الكبار وإنما الأطفال أيضا، ولكن بصورة أقل تعقيدا وتركيبا وتوصل الباحثون إلى أن أحلامهم تخضع لتحويلات مع نموهم وتعكس بوضوح أن نسيجها الأساسي هو شكل من ظروف الحياة الواقعية أو نتائج الحياة النفسية والتطور الحاصل على الهوية الشخصية وتطور القدرات الفكرية.

1- دور الحلم عند الطفل :

الحلم مثلما هو مهم عند الراشد فهو كذلك عند الطفل. فالأحلام بالنسبة له هي شكل من أشكال التفريغ للقلق الحالي، وأيضا تحقيق الرغبات، وبالتالي فهي تساعد في معرفة المشاكل التي يعاني منها والتي تدور في لاشعوره، ولا يستطيع التعبير عنها شفويا. فالحلم كالرسم هو وسيلة تشخيص للطفل ويلعب دورا مهما في حياته النفسية الداخلية. وفي هذا يقول " فرويد " :
- أن حلم الطفل يتكلم بوضوح انطلاقا من محتواه الظاهر.

Ce qui rend cette vérité difficile à croire, c'est l'absence du langage : quand l'enfant acquiert la capacité de parler, il raconte des récits de rêves riches d'évènements, de thèmes, de personnages, et d'émotions.

La conception du rêve se développe avec l'âge de l'enfant. Pendant la première enfance, il ne reconnaît pas la source des images de ses rêves, et il ne comprend pas que les images des rêves proviennent de l'activité de son cerveau. Mais, après quelques années, il arrive à percevoir l'importance des rêves et leur origine.

Les rêves des enfants sont riches et l'analyse de leur contenu nous permet de découvrir la seconde vie nocturne de l'enfant qui est cachée et qui fonctionne en parallèle avec la vie diurne. C'est pourquoi, il est nécessaire de s'intéresser au contenu des rêves des enfants afin de mieux les connaître.

- فهمه يكون سهلا بمعرفة الأحداث أو الحدث الذي جرى للطفل في الساعات التي سبقت النوم.
- حلم الطفل يحقق رغبة غير مخفية.(1)
- يمكن أن يكون تسوية بين ميلين، واحد يبحث على الحفاظ على النوم والآخر خاص بالإثارة.
- ولهذا يتحدث فرويد عن الحلم كحارس النوم ولكنه يبقى متحفظ فيما يتعلق بطبيعة الإثارة التي تدخل في صراع مع الميل إلى النوم.
- كما يرى بأن الحلم عندما يظهر عند الطفل الأصغر سنا فهو في آن واحد:
- شكل من أشكال تفريغ القلق الحالي.
- والتمثيل أو المنبع للتنظيمات القبل- صدمية .
- ومن هذا المنظور فالحلم ليس فقط تحقيق رغبة ولكن له قيمة العرض .
- وفي هذا الإطار اقترح P.M.Ploye على الباحثين والمحللين النفسانيين أن يهتموا بأحلام الأطفال التي في رأيه تترجم مباشرة "البصمة" لبعض الأحداث الصدمية التي تحدث منذ الولادة. ونذكر مثلا أحلام الشنق، أو أحلام أنه معلق.. فهي أحلام ترجع إلى صدمة الولادة عند بعض الأطفال اللذين يلتوي عليهم الحبل السري.
- كما يرى K.Eissler في دراسته للصدمة بأن حلم الطفل يمكن أن يكون صدمي بسبب الأحداث التي تكون المحتوى الظاهر ومثال على ذلك (حلم الرجل الذئب). ولكن الحلم يمكنه أن يهزم الصدمة لأنه يسمح بتفريغ الشحنة التي يمثلها. فحسب هذا الباحث الأفراد اللذين يصبحون لاحقا فصامين لا يستفيدوا من تلك الأحلام المقلقة .
- كما أوضح J. Hamigton في دراسته لدور الأحلام بأن الحلم عند الرضيع يسمح له بالتكيف مع الحرمان من الاشباع الفمية، ومن هنا فالحلم في نظره عند الطفل ليس فقط حارس النوم ولكنه أيضا معالج الحداد والاحباطات الفمية.

2- بداية ظهور الحلم عند الطفل :

- إن أحلام الأطفال تمر بمراحل مختلفة وتتطور في مستويات تدريجية وذلك التغيير يعكس التوسع والتميز في ملكات المعرفة والعاطفة، الحاصلة في مراحل النمو والنضج.
- لقد اختلف الكثير من الباحثين حول سن ظهور الحلم عند الطفل، ويرجع ذلك إلى إشكالية اللغة. حيث أن الأغلبية منهم يعتبرون أنه لا يمكن تأكيد حدوث الحلم عند الطفل قبل ظهور اللغة لديه. حيث يقول العالم "D. Foulkes " نظرا لغياب التعبير والكلام عند الطفل الصغير سنا فإنه ليس بإمكاننا تعيين ظهور الحلم ". (2)
- والبعض الآخر يرى أن الحلم يظهر في حوالي 15 إلى 18 شهر من عمر الطفل. ففي هذه السن وأثناء اليقظة يكون الطفل قادر على معرفة رمزية الصور. (3)
- لكن بعض التجارب الحديثة أوضحت بأن الأجنة البالغين من العمر 23 أسبوع، تحدث لهم حركات العين السريعة، التي تعكس حدوث الحلم. وهذا يعني أن الطفل في رحم أمه يعيش بعضا من صور الأحلام - أو ما يشبهها - حتى قبل مولده.

3- إدراك الطفل للحلم :

قبل أن يصل الطفل إلى عامه السابع، فإنه لا يستطيع التفريق بين الأحلام والأحداث الخارجية. وبالنسبة له فإن الكابوس مثلاً يمكن أن يحدث في عقله، ويمكن أن يحدث في غرفة نومه، فكما يقول J. Piaget " الطفل واقعي لأنه يجهل وجود باطنية الفكر". لذا فيجب أن ننتظر بأن يبدي صعوبات في تفسير الظاهرة الأكثر ذاتية التي هي الحلم. (4)

فدراسة تصورات الأطفال حول الحلم هي ذات أهمية كبيرة، وذلك لأن تفسير هذه الظاهرة يتطلب من جهة ثنائية الداخل والخارج، ومن جهة أخرى ثنائية الفكر والمادة، والطفل الأصغر سناً لا يفرق عادة بين هذه الثنائيات. وقد قام " بياجيه " بتحقيق حاول من خلاله معرفة النقاط التالية :

- معرفة ظاهرة الحلم (ما هو الحلم؟)
- حول مكان الحلم (أين نحلم؟)
- حول منبع الحلم (بماذا نحلم؟)
- حول أسباب الحلم (لماذا نحلم؟)

ونتائج هذا التحقيق قادت " بياجيه " إلى تمييز ثلاث مراحل متتابعة موقف الطفل اتجاه الحلم :

المرحلة الأولى : تخص الأطفال ذوي 5 إلى 6 سنوات حيث يرون بأن الحلم يأتي من الخارج و يبقى خارجي، أي أن الطفل يعتقد بأنه يتوضع في الغرفة وأمام أعيننا هو صورة خارجية ليست حقيقية ولكنها موجودة وهي ليست مادة فكرية. بالإضافة إلى ذلك يقول بأن الأحلام تأتي دائماً " لتزعجنا " أو " لأننا قمنا بأشياء ما كان علينا القيام بها ".

المرحلة الثانية: الأطفال من 7 إلى 8 سنوات، يرون أن الحلم يأتي منا ولكنه خارج عنا، الحلم يأتي من الرأس أو الفكر ولكنه في الغرفة أمامنا، نحلم بأعيننا. هذا المفهوم يوضح واقعية الطفل، فالطفل قد عرف أن الحلم يأتي منه، ولكنه لا يستطيع أن يفهم بأن الصورة يمكن أن تكون " خارجية " في الوقت الذي يراها. فهو إذن يضعه في غرفة، كموضوع خارجي مرتبط بالرؤية والصوت، ولكنه غير حقيقي. المرحلة الثالثة : الأطفال ذوي 9- 10 سنوات، هنا بالنسبة لهم الحلم داخلي وذو أصل خارجي، أي الحلم يأتي من الفكر ويتوضع في الرأس، هنا تتدخل عين داخلية " ترى " مثلما " تسمع " الأذن الصوت الداخلي للفكر، والتمييز بين الداخل والخارج يكتمل في سن 10 سنوات.

هذه النتائج تبين لنا نوعاً ما كيف ينظر الأطفال إلى الحلم، وكيف يفسرون حدوثه وموقعه، فالتفسير لا يزال بعيداً عند الطفل الأصغر سناً، بين الواقع المعاش والواقع المتخيل، والأحلام لا تنطوي على مفهوم واضح في ذهنه.

فعندما قام Wallon في دراسته المقارنة لذكاء الطفل وذكاء البدائي بالتطرق إلى كيفية تصور الطفل للحلم، وطرح سؤال ما هو الحلم؟ على أطفال ذوي 6 سنوات، تبين أن

هناك نوع من الارتباك في الإجابات، لأن الطفل يجد نفسه أمام ثلاث أنواع من الأماكن التي لا يعرف كيف يوحدّها:

- (1) بيئة الحيوان التي يراها في الحلم أو مكان المشهد.
- (2) مكانه هو كحالم أو المكان الشخصي.
- (3) وأخيراً مكان الحلم كحلم أو فكره الخاص. (5)

فالطفل هنا لا يعرف جيداً كيف يفرق بين الأماكن الثلاث، ونذكر مثلاً إجابة طفل حول سؤال ما هو الحلم؟ " يعني أننا ننام ونحلم " وطفل آخر : " الحلم هو عندما نشخر"، " الحلم في الفراش". وقد أوضح " فالون " بأن التناقض بين الواقع والحلم مؤكد بصورة واضحة، زمنين مختلفين، وفعلين مختلفين :

- الرؤية في الحلم، وفي الواقع العينيين مغمضتين .
 - كونه يعيش واقعا، ويحلم في نفس الوقت.
- فهذه الصيغة الواقعية المعطاة لهذه الازدواجية تبين إلى أي مدى الحلم والواقع، التمثيل والحدث، هي بعد غير مميزة من طرف الطفل وأنها مسقط على صعيد واحد فقط.

4- محتوى أحلام الأطفال:

إن الأطفال يقضون وقتاً أكثر من الوقت الذي يقضيه الراشدون الكبار في نوم الحركات السريعة للعينين، وبالتالي فهم يحلمون أكثر وخاصة في سن صغيره. ويلجأ الأطفال خاصة إلى رواية الأحلام المزعجة أو المخيفة المليئة بالحيوانات والوحوش التي تلاحقهم.

فمواضيع أحلام الأطفال متنوعة وغالبا ما نجد الطفل يحلم " بالعجز، بالخوف، الهرب...الخ" وقد قام الباحث الأمريكي David Foulkes بدراسة محتوى أحلام الأطفال من مختلف الأعمار وتبين من المعطيات الاكلينيكية بأن محتوى الحلم يتغير خلال نمو الطفل. ذلك لأنه وحدة تكاملية جسمية عاطفية واجتماعية، وتؤثر هذه العوامل في محتوى الحلم ، ويكون ناجم عن أحدها . (6)

كما اتضح لهذا الباحث بأن الصور المرسومة في كتب الأطفال القصصية مثل الحيوانات والأرانب والضفادع والطيور كان لها أثر على عواطف الأطفال أثناء أحلامهم، وأحيانا نمط الحياة مع الوالدين يظهر جليا في الحلم.

وكانت أصغر مجموعة من الأطفال الذين درسهم " فولكس" تتراوح بين ثلاث وأربع و4 من العمر. (7)

وبصفة عامة لم يكن هؤلاء الأطفال يقدرّون إلا على تقديم سرد قصير عن أحلامهم، سرد قصير لا يتضمن إلا القليل من الأفعال والانفعالات. كانوا كثيراً ما يحلمون بأنهم يلعبون في ظروف مألوفة ويحلمون بالحيوانات.

- أما الأطفال من 5 إلى 6 سنوات فكان في مقدورهم أن يقدموا سرداً عن أحلامهم يبلغ من الطول ضعف ما كان يقدمه الأطفال الأقل سناً. وكانوا يتحدثون عن أحلام فيها قدر أكبر من الحركة والنشاط، كما إن الناس الذين يظهرون في الأحلام في غالب الأحيان

من أفراد الأسرة والأصدقاء، ولكن أصحاب الأحلام أنفسهم كانوا يلعبون دورا سلبيا إلى حد ملحوظ، ومن الظواهر الطريفة المتصلة بالأحلام عند أبناء هذه الفئة من العمر أن الأولاد والبنات كانوا أقرب إلى أن يختلفوا فيما بينهم من حيث الأحلام التي يرونها، فالبنات كانت أكثر أحلامهم تدور حول لقاءات ودية، ومشاعر سارة ونهاية سعيدة، بينما كانت أحلام الأولاد تدور بدرجة أكبر حول الموضوعات غير السعيدة وحول الخلافات والصراعات، لكن هذه الفروق لم تعد ظاهرة بعد ذلك عند الأطفال ذوي أعمار السابعة و الثامنة.

وعند هؤلاء الأطفال فكانوا في أحلامهم إذا ما قورنوا بأطفال المجموعة الأصغر سنا يلعبون دورا أكثر إيجابية و فعالية.

- أما أحلام الأطفال اللذين تتراوح أعمارهم بين 9 و 12 سنة فكأنه تدور بصفة عامة في البيوت أو في المدرسة كما إن الناس اللذين يظهرون في هذه الأحلام من بين أفراد الأسرة. أو من رفاق اللعب. كذلك تكثر هنا عند أبناء هذه المجموعة المشاعر السارة وذلك بدرجة أكبر مما نجده عند المجموعة الأصغر سنا كذلك فإن نسبة انتشار الأحلام العدوانية عند الذكور الأكبر سنا ضعف ما هي عليه عند البنات.

- وأما عند المراهقين ما بين 13 و 15 سنة وخصوصا الذكور منهم فقد تناقصت الأحلام السارة وتزايدت العناصر الغريبة وأصبح ظهور أفراد الأسرة أقل احتمالا والنتيجة العامة لهذا التحقيق هو أنه كلما تدرج الأطفال في النمو من الرضاعة إلى المراهقة، أخذت التغيرات التي تطرأ على أحلامهم تعكس مراحل النمو المعرفي وتستند إلى خلفية من مواقف الحياة الفعلية: البيئة الأسرية، المدرسة، نمو الذات أو الهوية الشخصية... وغيرها.

وقد قدم لنا " بياجيه " في دراسته المقارنة بين الرمزية في اللعب والرمزية في الحلم عند الأطفال عدة أنواع من الأحلام :

- الأحلام التي تحقق الرغبات .
- الأحلام التي تمثل لا شعوريا بعض الأشياء بأشياء أخرى (كما هو الحال في الرمزية في اللعب) .
- الأحلام التي تعرض حدثا متعبا، ولكن مع إعطائه نهاية سعيدة (مثلما يحدث في اللعب).

- الكوابيس التي نجد فيها الرعب المراد الذي يأخذ منه لذة مناسبة للقلق.
-أحلام العقاب والعقاب الذاتي.
- و الأحلام التي تشكل ترجمة بسيطة رمزية لمنبه عضوي حالي (كحالة العطس أو الحاجة للتبول).

إذن فحسب "بياجيه" فإن الحلم عند الطفل في بنائه الرمزي وفي محتواه يبدو قريب جدا من اللعب الخيالي. ولكن إعداد اللعب متحكم فيه أكثر ولكن عن قصد ونية، في حين أن إعداد الحلم يقود الطفل ابعده مما يتصوره شعوره، وخاصة فإن اللعب يستعمل كرمز، كل البدائل المادية للموضوع، الشيء الذي يسهل تخيل هذا الأخير، في

حين أن الحلم يتلخص في تمثيل الموضوع بصورة عقلية، أو إلى اختيار كبديل صورة أخرى تمثل نفس الموضوع ولكن بصيغة مغايرة. وهذا أيضا ما يذهب إليه " فولكس " حيث يرى بأن هناك استمرارية معتبرة بين لعب الطفل وأحلامه كمحتوى و كوظيفة.

5- خصائص أحلام الأطفال:

رغم أن إدراك الطفل للحلم يشوبه التناقض والغموض فإنه بإمكانه أن يسرد لنا أحلامه بكل دقة ووضوح. ولكن من الصعب حقا أن نصل إلى روايات يعتمد عليها في أحلام الصغار، ومن المشكلات المتصلة بذلك أنه لا نستطيع أن نتبين إذا كان الطفل يروي لنا حقا حلمه أو أنه يطلق العنان لخياله و يختلق قصصا متنوعة. إن معرفة خصائص أحلام الطفل، يعكس لنا الحياة الثانية اللاشعورية، التي لا نعرفها عن الطفل. على عكس الحياة اليقظة التي يمكننا معرفة الكثير عنها من خلال تفحص المحيط الذي يعيش فيه، وملاحظة سلوكياته في مختلف الظروف. فالحياة الحلمية إذن عند الأطفال من الصعب التعرف عليها، لأننا لا نراها ولا نعيشها وبالتالي فهي مجهولة طالما لم نعرف خصائصها. بمعنى ما الذي تحتوي عليه، وكيف يتصرف الطفل وكيف هي علاقاته ومع من، إن كانت سعيدة أو شاقة، وما نوع الأحداث والمواقف التي تتكرر في أحلامه، وهل يختلف الإناث عن الذكور في كل ذلك ؟ ولقد وضعنا فرضيات أردنا التحقق منها و هي:

- الفرضية العامة :

مواضيع و محتويات أحلام الأطفال تتميز بخصائص الفرضيات الجزئية:

- مواضيع أحلام الأطفال تتأثر بجنسهم .
- المكونات البشرية لأحلام الأطفال هي العائلة.
- الأماكن التي يحلم الأطفال بتواجدهم بها هي المدرسة.
- يحلم الأطفال كثيرا باللعب والألعاب .
- في الأحلام يكون الأطفال إيجابيين ويمارسون عدة أنشطة.

أدوات جمع المعطيات :

- المقابلة :

اعتمدنا على المقابلة النصف موجهة ، التي من خلالها حصلنا على نصوص الأحلام للأطفال .

من خلال المقابلة كان السؤال الرئيسي هو " اروي لي حلما تتذكره ". وكانت هناك أسئلة فرعية بغرض توضيح الحلم والحصول على تفاصيل تتعلق بـ : مكان الحلم ، شخصيات الحلم، المشاعر أثناء الحلم، الأفعال التي قام بها الطفل في الحلم .
- الرسم :

طلبنا من الأطفال أن يرسموا أحلامهم بعد سردها و ذلك حتى يعبروا بصورة مادية وليس فقط مجردة عن أحلامهم و كذلك بغرض التعرف أكثر على مكونات الحلم وطريقة الطفل في التعبير عنها بالرسم إلى جانب السرد الشفهي. فالرسم قد يسهل على الطفل التعبير عن أمور لم يستطع قولها خلال روايته للحلم.
تحليل المعطيات:

قمنا بتحليل المعطيات المتحصل عليها باستخدام طريقة تحليل المضمون .حيث قمنا بتفريغ المعطيات في فئات وقمنا بتصنيفها حسب تكرارها وحسب السمات المتشابهة.
العينة:

قمنا بدراستنا على مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين 8 و 11 سنة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية عددهم 120. يتوزعون حسب السن والجنس كالآتي :

السن الجنس	8 سنوات	9 سنوات	10 سنوات	11 سنة	المجموع
إناث	15	15	15	15	60 إناث
ذكور	15	15	15	15	60 ذكور
المجموع	30	30	30	30	120 طفل

لقد قمنا بضبط العينة حسب السن وحسب الجنس وذلك بغرض أن تكون النتائج أكثر موضوعية. وحتى نستخرج الخصائص المشتركة في الأحلام عند الأطفال بالنسبة للسن والجنس، أيضا لاستخراج الفروق الموجودة حسب السن والجنس.

النتائج:

بعد الحصول على روايات الأحلام، قمنا بتحليلها من خلال استعمال طريقة تحليل المضمون، حيث تم تفريغ المعطيات المتعلقة بنص الحلم، وتم تقسيمه إلى العناصر التالية:

- الموضوع، وطبيعته.

- العناصر المكونة له : المادية – الشخصيات – الأفعال – المشاعر والانفعالات .

نم وضعها في فئات بغرض إحصائها، وهذا عند الذكور والإناث .

وبالنسبة للرسومات فقمنا برصد العناصر الأساسية المكونة لها، وقمنا بتحليلها من خلال المقارنة بين عناصر الحلم وعناصر الرسم، بمعنى هل الرسومات تعبر عن الحلم أم لا، وهل يرسم الطفل كل العناصر التي جاء على ذكرها أو لا .

بعد الحصول على النتائج قمنا بتحليلها وتوصلنا إلى عدة استنتاجات فيما يتعلق بخصائص الحياة الحلمية للأطفال :

- توصلنا إلى أن أحلام الأطفال ثرية و غنية على الرغم من أنها أقل تعقيدا من أحلام الكبار .

- عناصرها مميزة من حيث :

- طبيعة الأحلام
- مواضيع الأحلام
- شخصيات الأحلام
- المكونات المادية للأحلام
- بيئة الأحلام
- المشاعر في الأحلام
- أفعال الطفل في الأحلام.

1- طبيعة الأحلام :

توصلنا إلى أن أحلام الأطفال هي ذات طبيعة متنوعة، وهناك فروق بين الجنسين، وأيضا تختلف من عمر لآخر .

* حيث أن أحلام الإناث هي ذات طابع :

جميل وممتع – طموح وتمني – مقلق – تعرض للخطر – الإقصاء – الصراع الداخلي.

وما تمت ملاحظته هو أن طبيعة أحلام البنات تتماشى وطبيعتهن الأنثوية حتى ولو كانت لها معاني رمزية عميقة.

وعن السن و طبيعة الحلم نجد أنه كلما تقدم كلما كثرت الأحلام الجميلة والطموحة والتعرض للخطر. ويرجع ذلك إلى أنه في هذه الفترة فإن تفكير الطفل عموما أصبح كما يقول " بياجيه " موضوعي، ويريد معرفة الأسباب والنتائج فتفكر البنات فيما ستكون عليه مستقبلا وما الذي تريد تحقيقه ، وتعرف أين مصادر الخطر ومنابع المتعة .

* أما أحلام الذكور في ذات الطابع :

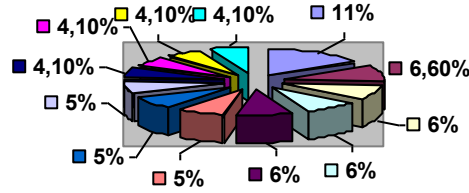
- المخيف – الشجاع – العنيف – العدوانية - الرعاية – الحماية – العقاب الذاتي.
وهنا نلاحظ فرقا واضحا في طابع أحلام الأولاد والبنات. فالأولاد في مرحلة الطفولة هذه يتميزون بالنشاط الحركي الكبير، والحاجة إلى تقليد الراشدين، وتقمصهم، وخاصة في 10 و 11 سنة.

حيث يتعلم إثبات وجوده وسط الآخرين واكتشاف فردياته، ويشعر بالراحة مع الأولاد من نفس جنسه وما يخلق لديه من روح التعاون والتنافس والمسؤولية .

2- مواضيع الأحلام :

بالنسبة للمواضيع فهي كثيرة ومتنوعة وعلى رأسها كانت: الحوادث والقتل. حيث يحلم الطفل بتعرضه لحدث سير، أو أن شخصا غريبا يريد قتله، وهذا عند الجنسين . وقد كانت المواضيع مختلفة بين الإناث والذكور.

- فعند الإناث كانت :
أحلام النجاح في الدراسة، التنزه، الهروب، أحلام القتل، وأحلام الإخوة .
وما تمت ملاحظته هو أنها في أغلبها مواضيع ذات طابع اجتماعي تدور حول الأسرة والعلاقات. ويرجع ذلك إلى اهتمامات البنت وأفكارها التي تختلف عن الولد، فهي تهتم بذاتها و بكل ما يتعلق بالمجتمع. (8)
ومواضيع أحلام البنت تعبّر أيضا عن الصراعات الداخلية التي تعيشها الأنثى . فمن خلال أحلام الهروب و القتل يتجسد القلق والخوف الخاصين بالمرحلة الأوديبية، حيث نتيجة للصراع تظهر تلك المشاعر التي يحركها الشعور بالذنب تجاه الوالد من نفس الجنس.
- عند الذكور تكررت مواضيع :
الشجاعة، البطولة، الضرب والعقاب والكوارث، الموتى والقبور.
نلاحظ هنا أنها مواضيع ذات تفاعلات أكثر حدة وأكثر عنفا وعدوانية. وأحداثها قريبة إلى الغرابة .
وهذا يرجع إلى خصائص الولد في اليقظة من حب للمغامرة و الاكتشاف والرغبة في تقمص أدوار البطولة. تلك التي يعتبرها المحللين النفسانيين عملية تعويض خاصة بالنسبة لأولئك اللذين يعانون في الحياة اليومية من القهر والشعور بالدونية والعجز أمام الراشدين .
إن اختلاف مواضيع أحلام الأولاد عن الإناث يرجع إلى التنميط الجنسي، الذي هو تبني الدور الجنسي والتوحد مع شخصية من نفس الجنس واكتساب صفاتها. ويتضمن ذلك اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع النشاط العام. هذا التنميط يجعل الفروق واضحة بين الذكور والإناث، والتي تظهر في مواضيع الأحلام .
ومن كل ما سبق نقول أن فرضيتنا التي مفادها " مواضيع أحلام الأطفال تتأثر بجنسهم " قد تحققت .
و المخطط التالي يوضح النسب المئوية للمواضيع :



الحوادث	القتل	الأشباح	الخيالية
الرغبات	الطموحات	اللعب	هجوم حيوان
النجاح	الشجاعة	عناية بحيوان	الإخوة

- النسب المئوية لمواضيع الأحلام المتكررة -

(3)- شخصيات الأحلام:

في الأحلام تأخذ المشاعر والأفكار شكلاً بشرياً وتتمثل في شخصيات. وبالتالي فهي من جهة تكون جزءاً من الذات بجوانبها الإيجابية والسلبية. ومن جهة أخرى فالحلم يصف طبيعة العلاقات بين الحالم والشخصيات الحقيقية. وبالنسبة للشخصيات التي تكررت في أحلام الأطفال هي:

3-1- العائلة:

وهم خاصة الوالدين أي الأب والأم وكان ذلك في معظم أحلام الأطفال إناثاً وذكوراً وفي كل الأعمار.

- ظهر الأب خاصة في أحلام الذكور، والذي يرمز إلى الرقابة الداخلية التي تعيد السلوك والتفكير إلى الطريق الصحيح. (9)

- كما أنه يعبر عن تقمص الولد لأبيه و حل الصراع الأوديبي، وهذا ما دل عليه محتوى الأحلام التي ظهر فيها الأب ولوحظ أنه كلما تقدم العمر كان ظهوره أكثر.

- وظهرت الأم خاصة في أحلام الإناث، وهي ترمز إلى القوى النفسية الكامنة. ففي الأحلام لاحظنا اشتراك الأم بصورة كبير في أحلام البنات. والتي هي من زاوية تعبر عن الأنا المثالي ومركز الاهتمام الأول بعد حل الصراع الأوديبي، ومن زاوية أخرى تعبر عن القوى الأنثوية للبنات. سواء كانت ايجابية في حالة ظهور الأم في مواقف الحماية والنصح، أو السلبية في حالة ظهورها في مواقف العقاب والتحذير.

3-2- الحيوانات :

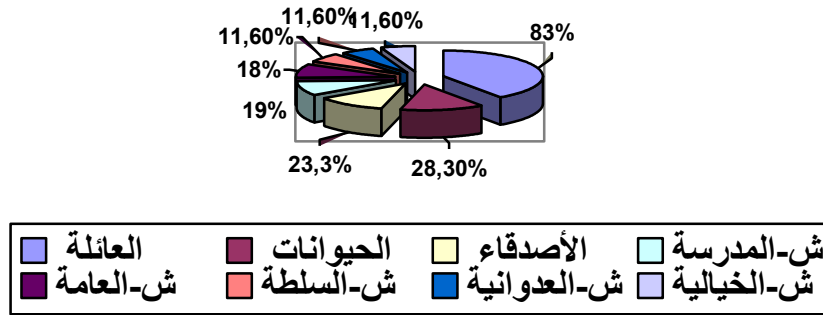
كانت في الأحلام كثيرة و متنوعة خاصة كلما تقدم السن، وهي: الذئب، الخروف، الكلب، القط، الأرنب، البقرة، العصفير.

وهي ذات دلالات متشعبة، فهي ترمز إلى الغرائز والقوى الحيوية للطفل، أحيانا تساعد، وأحيانا تهدد وأحيانا يعتني بها. وهي تمثل إسقاطات لما بداخله من قلق، ومخاوف، ورغبات .

كما قد ترمز على أفراد مهمين في حياته كالأب أو الأم تبعاً لمميزاتها. وبالنسبة للفروق بين الجنسين فإنه عند الإناث كان ظهور الحيوانات قليلاً مقارنة بالذكور وهذا في جميع الأعمار. كما أنها أقل تنوعاً. وأغلبها أليفة كالخروف، البقرة، والأرنب .

أما عند الذكور فلاحظنا تنوعاً كبيراً في الحيوانات في أحلامهم ك: الدلفين، الأسد، العصفير، والتمساح.

ونوضح ذلك أكثر بالنسب المئوية من خلال هذا المخطط :



-النسب المئوية لشخصيات الأحلام -

4- المكونات المادية للأحلام :

- كانت خاصة السيارات في أحلام الأولاد، والتي ترمز إلى مبادئ الترف والتعامل المستمدة من الأب .

- ثم بعدها وجدنا اللعب، ولكن بتكرار ضئيل جداً حيث من بين 120 حلم كانت في 15 حلم فقط وخاصة عند الأولاد. في حين كان فعل اللعب مع الأصدقاء موجود.

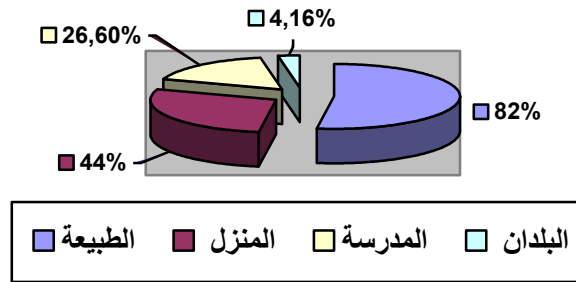
- ثم نجد الأسلحة وعلى رأسها السكين، وذلك في الأحلام المقلقة، والذي غالباً يكون في يد قاتل. والدلالة الرمزية له هي القضيبي ويعبر عن قلق الإخصاء .

5- بيئة الأحلام:

وهي الأماكن التي تدور فيها أحداث الحلم، وكانت خاصة :

- الغابة والطبيعة، وتمثل اللاشعور بالدخول في الغابة مثلاً يعني البحث عن الذات وترمز إلى الحياة الغريزية. كانت معظم الأحلام تدور وسط طبيعة جميلة، غنية ومليئة بالجمال والأشجار والحدائق والبساتين والبحار، وغيرها من مكونات الطبيعة. والأحلام في هذه الأماكن بعضها جميل، أين يتنزه الطفل ويلعب ويستكشف، ويكون فرحاً. وفي البعض الآخر تكون مخيفة، حيث يهجم عليه حيوان ما أو أشرار، وأين كل شيء فيها مخيف وقد كان ذلك في أحلام الذكور والإناث وبالتساوي في كل الأعمار.
- ثم المنزل والذي يرمز إلى شخصية الطفل و ذاته، ويشير إلى الأمان الروحي والجسدي من العالم الخارجي. وحالة المنزل تشير إلى حالة الطفل، فمثلاً حلم بمنزل مهدم يرمز إلى نقص الثقة والاطمئنان والخوف.

- ثم المدرسة التي تعبّر رمزيًا عن الاهتمامات العلمية، وحب اكتساب المعارف. وقد كان التكرار الأكبر لها في أحلام البنات .



- النسب المئوية لبيئة الأحلام -

6- المشاعر والانفعالات :

أحلام الأطفال مشحونة بعواطف وانفعالات مصاحبة لأحداث الحلم، والذي يذكرها الطفل عند سرده للحلم، و أحيانا لا يذكرها وإنما نستشف ذلك من خلال المضمون. والعواطف تشكل جزءاً من الأحلام، وقوتها ونوعها يبقيان حتى عند الاستيقاظ. وهي في الحلم مرتبطة بأحداثه وتأخذ مواضيعها من الحياة اليومية للطفل. فكل ما يثير خوفه في اليقظة يثير خوفه في الحلم. فأحلام الأطفال هي بمثابة الصدى أو الوصف الرمزي للعالم الذي يعيش فيه.

وأهم ما تكرر في أحلام الأطفال هي مشاعر الخوف الذي عبّر عنه الأطفال صراحة وذلك عند الإناث والذكور وفي كل الأعمار. ونذكر الخوف من الأشخاص الخطرين، الخوف من الظلام، من الشياطين، و الخوف من الحيوانات الشرسة.

كما كان هناك تكرار كبير للشعور بالفرح والابتهاج خاصة عند الإناث وفي جميع الأعمار .

وكلما تقدم عمر الطفل كلما تطوّرت وظهرت مشاعر جديدة وتعدّدت بعدما كانت بسيطة في السنوات الأولى من العمر ونذكر منها: الغضب، الغيرة، الحقد، والاعتزاز والفخر، الشعور بالاحتقار الشعور بالذنب.

فالأحلام إذن تبرز المشاعر من خلال مواضيع مختلفة ومن خلالها تسمح لكل الانفعالات المكبوتة والكامنة بالخروج بطريقة رمزية في صور الحلم.

7- أفعال الطفل في الأحلام :

كانت عديدة وتتميز بالتطور كلما تقدم عمر الطفل. وكانت خاصة إيجابية أكثر من السلبية وهذا عند كلا الجنسين. ففي هذه السن تصبح أحلامهم ترافق نموهم وعواطفهم وتفكيرهم، وتتحول شخصية الحالم من ذلك الخامل الغير مشارك في أحداث الحلم، إلى ذلك النشط المتدخل والمشارك.

وإن هذا التغير في الأحلام من زيادة لأفعال الحالم يعكس التوسع والتميز في ملكات المعرفة والعاطفة و توسع الخبرات .

وهذا ما يؤكد فرضيتنا بأن " الأطفال في أحلامهم يكونوا إيجابيين ويقوموا بأفعال كثيرة

وتتمثل في نشاطات يقومون بها يوميا كاللعب، الذهاب إلى المدرسة، ومع تقدم عمرهم تظهر أفعال جديدة و معقدة كالطيران، الإنقاذ، والدفاع عن النفس.

8- رسومات الأحلام:

إن الرسم والحلم عند الطفل يكشفان لنا عن حقيقة مشتركة مهمة هي اللاشعور والشخصية. لكن الحلم ليس رسما والرسم ليس حلما .إلا أن هناك نقاط مشتركة بينهما وأهما " التمثيل عن طريق الصورة " و التي تخضع لميكانيزمات التكثيف والإزاحة.

لقد كانت رسومات الأحلام بمثابة المرآة العاكسة للجوانب الخفية للحلم والتي لا تظهر من خلال الرواية، كالعوانية والغيرة الأخوية. حيث أن بعض العناصر التي لم يتمكن الطفل من التعبير عنها أثناء روايته، ظهرت من خلال الرسم. وبالنسبة للمواضيع فإن الأطفال نجحوا في التعبير عن أحلامهم من خلال الرسم حيث مجرد النظر على الرسم يوحي لنا بموضوع الحلم وأحداثه. أما عن الشخصيات الحلمية فيرسمها الطفل خاصة بالنسبة للوالدين، وأيضا يرسم نفسه في وضعيات معينة وخاصة المؤثرة في أحداث الحلم .

خاتمة

إن هذه النتائج أكدت لنا أن أحلام الأطفال مميزة من جوانب عديدة، وأن أحداثها تعبر عن أفكارهم وانشغالاتهم ومشاعرهم خاصة الحالية والقريبة. وأيضا التي هي مكبوتة و متعلقة بمراحل سابقة. إن الأطفال من خلال أحلامهم يعبروا عن ما هو في أعماقهم، و هم يشتركوا في بعض ما يدور فيها. فنجد نفس الرغبات، سواء المكبوتة في اللاشعور كالجنسية، والعوانية والغيرة، التي تجسدها الأحلام في صورة واضحة وأقل

تعقيدا، برموز بسيطة، يساعدنا على فهمهما رسم الحلم. أو تلك الشعورية والتي هي خاصة مادية كامتلاك اللعب أو المال، وتلك المعنوية كامتلاك حب الوالدين و النجاح . والاختلاف في أحلام الأطفال يكمن في الاختلاف بين الجنسين ومن حيث طبيعة المواضيع التي تستجيب للفروق النفسية بينهما، وأيضا لاختلاف التصورات الفكرية والاتجاهات الاجتماعية لكل منهما. إن ما يميز أحلامهم هو محتواها ومكوناتها التي هي ذات دلالات رمزية، وأيضا ذات دلالة عن خصائص الأطفال الفكرية، النفسية، ودرجة نضجهم وتصوراتهم لأحداث اليقظة ومواقفها، وأنماط العلاقات مع الأشخاص.

المراجع

- 1-Lebovici, Serge (1976).Le psychanalyste d'enfants et le rêve, Revue Française de psychanalyse, tome XL, PUF.P 15.
- 2- Ajuriagerra, J (1977).Manuel de psychiatrie infantile. Paris, Masson.P183.
- 3-Débré, R, Doumic, A (1969).Le sommeil de l'enfant .Paris, PUF, 2ème ed, collection SUP.P 78.
- 4-Piaget, Jean (1947).La représentation du monde chez l'enfant. Paris, PUF.P78.
- 5-Wallon, Henri (1970).De l'acte à la pensée. Paris, Flammarion.P80.
- 6-Ajuriagerra, J (1977).Manuel de psychiatrie infantile. Paris, Masson .P 182.
- 7- ألكسندر بوربلي، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، 1992، أسرار النوم ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة رقم 163، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 76 .
- 8- Toesca, Yvette (1984).L'enfant de 2 à 10 ans. Paris, ESF, 2ème éd.P177.
- 9-www.pages.infinet.net/aum.Estell Le Blanc. Les Grands Symboles, Les demoiselles des rêves.2008.